الملتقى الوطني: ظاهرة الإلحاد لمعاصر "عوامل التشكل وسبل المواجهة"

المحور الثاني: أسباب انتشار الإلحاد

عنوان المداخلة: أثر الدعاية في نشر الإلحاد

The effect of propaganda in spreading atheism

المشاركة: رقية رقاز (طالبة دكتوراه "التسجيل الثالث" بكلية العلوم الإسلامية خروبة)

ملخص

تهدف هذه الدراسة التطبيقية التعرف على أثر الدعاية المسمومة التي تقدمها الوسائل الإعلامية والشبكة العنكبوتية والمؤلفات الورقية لنشر الإلحاد في المجتمع الإسلامي ومدى دقة الترويج الخفي له.

وتم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لدراسة النماذج المقدمة، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج التي أكدت أن الإسلام وعقيدة التوحيد هي العدو الأول لدعاة الإلحاد، والعالم العربي والإسلامي ليس مستعدا بعدُ لمواجهة دعايتهم المدعومة دوليا.

الكلمات المفتاحية: الإلحاد، الدعاية، الإعلام، مواقع التواصل، الإسلام.

Summary

This study aims to identify the impact of the toxic propaganda provided by the media, the Internet and books to spread atheism in islamic society, and the accuracy of its hidden promotion.

The descriptive analytical method was adopted to study the samples provided. The study reached a number of results that confirmed that Islam and the doctrine of monotheism are the first enemy of the advocates of atheism, and the arab and Islamic world is not yet ready to confront their internationally supported propaganda.

Keywords : atheism, propaganda, media, social networking sites, Islam.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق العباد وأبان لهم صحيح الاعتقاد، وحذّرهم من دروب الشِّرك والإلحاد، تعالى سبحانه عن الشركاء والأنداد، وصلى الله على نبيه المصطفى الهادي إلى سبيل الرشاد، والشفيع يوم المعاد، وعلى آله وصحبه أفضل الصحب وخير الأجناد، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم التناد، يوم يقوم الأشهاد.

أما بعد، لقد حظي موضوع الإلحاد بفرصة متواضعة من حيث دراسته؛ فقد أُلفت كتب تحكي تاريخ نشأته وظروفها، وكُتِبَ عن مدارسه بكافة أطروحاتها واتجاهاتها، مع توثيق آراء أهله وبيان شبهاتهم والرد عليها، إلا أنه استمر في التطور استمرارا يجعل الحاجة إلى دراسته متجددة، والتحذير منه ومن آثاره أمرا واجبا على الأمة الإسلامية، مع وجوب كشف أسبابه لا سيما الخفية.

اليوم في ظل التطورات التكنولوجية والإعلامية التي عرفها العالم حصل الملحدون على فضاءات أكثر متانة لنشر أفكارهم غير السوية، خاصة وأن أجهزة الإعلام تحت هيمنة الدول الغربية. ولا يخفى على عاقل جودة الخدمات التي وفرتها شبكة الأنترنت التي تتسم بالسرعة وتقصير المسافات مع إمكانية التواصل مع عدد لا يحصر من المستعملين دون الإفصاح عن الهوية الحقيقية لصاحب الدعاية.

وتأتي أهمية المداخلة من موضوعها فالإلحاد يمس عقيدة الإنسان بصورة مباشرة، والمداخلة تسعى إلى محاولة الكشف عن مدى فاعلية الدعاية المسمومة للإلحاد ومشتقاته في التأثير على معتقدات الناس باستمالة آرائهم؛ ومنه القدرة على تسطير بعض الحلول الناجعة لمواجهة دعايتهم بدعاية إيجابية.

تبحث هذه المداخلة في أسباب انتشار الإلحاد بين المسلمين من الناحية الإعلامية. ولتستوي الدراسة على سوقها وجب الإجابة عن بعض الأسئلة من خلال عناصر هذا العمل، ومنها:

- ما مفهوم الدعاية؟

- كيف يسوق الملحد لعقيدته من خلال وسائل الإعلام التقليدية والمعاصرة؟

- ما مدى فاعلية الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام الإلحادي؟

- كيف استثمر الملحدون الثروة المكتبية وشبكة الأنترنت؟

- كيف ساهم الملحدون العرب في نشر الإلحاد المعاصر بين الشباب؟

لكل دراسة أهداف تصبو إليها، وتهدف دراستي إلى إبراز دور الدعاية بصفتها وسيلة من وسائل نشر الإلحاد بين المسلمين. وتسليط الضوء على بعض النماذج التي قد تغفل عنها الأسرة المسلمة؛ لتكون مثالا عن باقي محاولاتهم الخبيثة في جذب شباب الأمة إلى معسكرهم.

طبيعة الموضوع فرضت علي الاستعانة بأكثر من منهج واحد لتحقيق الفائدة المرجاة. فاستعملت المنهج الوصفي لوصف دور صاحب الدعاية في استمالة عقول وآراء الجمهور، والمنهج التحليلي لتحليل النماذج التي وقفت عليها، بالقدر الذي تتيحه مساحة العمل.

1- مفهوم الدعاية

الدعاية (Propaganda) هي بث المبادئ ونشر المعتقدات في مختلف المجالات، جاء تعريفها في معجم ويبستر بأنها: «الوسائل والأساليب والإجراءات المتخذة لنشر العقائد والمبادئ من أجل تصعيد قضية معينة»[1]. والهدف المنشود من تصميمها هو التأثير على الجمهور من خلال استخدام وسائل الاتصال المختلفة. ويعتمد صاحب الدعاية على عوامل نفسية لضمان نجاح مهمته، وإلى هذا ذهب هارولد لازويل عندما عرفها بأنها: «التعبير عن الآراء أو الأفعال التي يقوم بها الأفراد أو الجماعات على أساس أنها تؤثر على الآخرين لتحقيق أهداف محددة مسبقا، وذلك من خلال تطور عوامل نفسية»[2]. ووصف جاك أيلول هذه العملية بأنها تتم: «عن طريق مراوغات نفسية تتم في نطاق تنظيمي معين»[3].

يتضح مما سبق أن الدعاية على اختلاف معانيها مرتبطة بالتأثير في نفسية المتلقي؛ للخضوع لما يتم دعوته إليه فيحقق صاحب الدعاية بذلك التغيير الذي ينشده على اخلاف الرسالة فقد تكون دينية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

2- الدعاية إلى الإلحاد عبر وسائل الإعلام

إن وسائل الإعلام العربية شريك قوي لوسائل الإعلام الغربية في نشر الثقافة الدخيلة على المجتمع الإسلامي عامة والعربي بوجه أخص[4]، وتدعمها في الترويج للعنف الأخلاقي مما يساهم في ضرب الهوية الدينية للمجتمع العربي المسلم من خلال سياسة الإثارة والتشويق وإغراق القنوات الفضائية بالإعلانات والبرامج المستوردة أو المقلدة دون غربلة، إضافة إلى برامج التسلية والمسابقات وأفلام الكرتون، وهذا عامل قوي لضياع وقت المسلم في التفاهات وتسطيح مستواه الأخلاقي والفكري، خاصة أنها تستهدف فئة الشباب والنساء الماكثات في البيت بصفة خاصة.

---

1) Merriam-Webster: WEBSTER'S Secondary-school DICTIONARY. P: 547

2) ينظر، محمد منير حجاب: (الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديما وحديثا) دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01 (1998) ص: 18

3) محمد ناصر جودت: (الدعاية والإعلان والعلاقات العامة) دار مجدلاوي، عمان، ط: 01 (1998) ص: 88

4) ينظر، عادل عاشور محمد المرغني: (دور وسائل الإعلام والاتصال الحديثة في حماية المجتمع من مخاطر برامج الإلحاد المعاصر) المجلة الدولية لعلوم الإعلام والاتصال، ع: 01 (2023) ص: 281

أ. البرامج الحوارية

يزخر العالم الغربي بإعلام قوي وفي المقابل بقي الإعلام المسلم –إن صحّت التسمية– بوسائله الرسمية مفرغا من محتواه، بالكاد يستطيع أن يستمر بين زخم القنوات التفاهة، لا يهتم بإبراز القدوات الصالحة التي تتسم بالعلم والعمل، وإنما يتيح في فرصٍ كثيرة المجال لأدعياء العلم والتقوى ليحرّفوا الدين، وأصحاب الفكر الشاذ دينيا وأخلاقيا للعبث بأخلاق المجتمع. وقد تطفل على المجال الدعوي والإفتاء أشباه الدعاة الذين ميّعوا الدين وجعلوه محط سخرية بين الشباب. وإذا تم عقد حلقة للمناقشة بين الدعاة والعلماء والملحدين يختارون –ربما عن غير قصد– باحثين أو شيوخا ضعافا لا يجيدون الرد على خصومهم وكثيرا ما يخرجون بمظهر المنهزم؛ فتُعمم صورتهم على بقية الدُّعاة والباحثين ويخسرون جمهورا واسعا قبل أن يكسبه.

أنتج الملاحدة مجموعة من البرامج الحوارية بثوا فيها سموم معتقداتهم الفاسدة، موجهة لمختلف الفئات العمرية. ومراعاة لتنوع الجماهير يختلف طرح الفكرة الإلحادية فتكون في بعضها الفكرة المركزية وتكون في الأخرى مجرد إشارات في بعض اللقطات العابرة[1].

وتصنف برامج الـ"توك شو" والـ"شات شو" في رأس قائمة البرامج الأكثر مشاهدة؛ نظير ما تتضمنه من إثارة وشدٍّ وجذب وإثارة الجدل. وخير مثال يحضرني هي البرامج التي يقدمها الصحفي الألماني ذو الأصل اللبناني جعفر عبد الكريم، على قناة دويتشه فيله (DW) الألمانية الناطقة بالعربية من برلين. وأبرز برامجه التي تخدم موضوعي برنامج "شباب توك" الذي انطلق بعد اندلاع ثورة الربيع العربي، يهتم بقضايا الشباب في العالم العربي، ويناقش القضايا الخارجة عن المألوف، فصار صوتَ الشباب العربي على اختلاف تياراتهم الفكرية والعقدية والسياسية.

أراد جعفر أن يقدم خدمة لنفسه ولأبناء جيله عن طريق برنامجه، فقد كان مثقلا بالأسئلة وشغوفا بإيجاد أجوبة مقنعة، ورأى أنّ الإعلام لا يعامل الشباب بصفتهم أشخاصا واعِين وإنما يصدِّر لهم كل ما يخص الترفيه، وقلَّما قدّم منصة للتعبير عن الهواجس السياسية والاقتصادية والشؤون اليومية، وهو تولى هذه المبادرة. استمر البرنامج في العطاء لمدة ثماني سنوات قبل أن يعلن جعفر إيقافه.

بدأ الصحفي الشاب تحديا جديدا مع برنامج جديد في القالب نفسه "جعفر توك" وهو برنامج حواري، يزور مختلف دول العالم العربي للتعرف على قصص الناس عن كثب؛ فهو منصة لكل شخص يشعر باختلافه عن

1) ينظر، سوزان رفيق إبراهيم المشهراوي: (الإلحاد المعاصر: سماته، وآثاره وأسبابه وعلاجه) بحث مقدم في مرحلة الدكتوراه، تخصص: الدعوة الإسلامية، جامعة أم القرى، (1440هـ)، ص: 992

بقية أبناء مجتمعه أو رفضه من قِبلهم. فحمل المقدم شعار "الاختلاف بداية الحوار" لطرح وتقريب وجهات النظر لتقبُّل الآخر مهما كانت أفكاره وتوجهاته، والإجابة على السؤال الجوهري: لماذا لا أستطيع أن أكون كما أريد؟

أول أهداف جعفر التي يصرح بها في لقاءاته[1] تحقيق العدالة والمساواة وهذه هي رسالة برامجه حيث قال: «رسالتي الإنسان خارج أي إطار، لا يهم الانتماء المكاني أو الجغرافي، المهم هي القيمة البشرية. أعمل من أجل إنسانية تتقبل التعدد». وقد اشتهرت برامجه على نطاق واسع بسبب إثارتها للجدل باختيار قضايا تلامس الخطوط الحمراء في المجتمعات العربية والإسلامية خاصة ما تعلق بالحرية الفردية، على سبيل المثال نجده يطرح قضية المسجد الذي يرحب بالمثليين، حقوق المثليين عامة، التربية الجنسية، الحجاب والنقاب، الطلاق، المساواة في الميراث، الأحكام الشرعية، إلى جانب مواضيع أخرى تمس حال الشباب العربي حقيقة وتهمه.

ومن بين هذه الاختلافات التي ناقشها؛ إلحاد الشاب الذي يكون سببا لنبذه من مجتمعه، وقد عالج هذا الموضوع بكثير من الإثارة دون أن يقدم أي جديد يُذكر، إضافة إلى مواضيع أخرى حساسة تُطرح بين ضيوف مختلفي التوجهات فيحتدم النقاش بينهم ضمن فقرات متنوعة بشكل إعلامي حديث. وهذه أمثلة عن بعض حلقاته لتتضح صورة محتواه أكثر:

- "إذا اختلف الدين والعلم، من تصدق؟": ومن المواضيع التي تطرق إليها في هذه الحلقة: نشأة الكون، تطور البشر، المساواة الحقوقية بين المرأة والرجل.
- "امرأة وإمام مثلي يَؤُمان الصلاة... ما المانع؟": موضوع هذه الحلقة عن مسجد لبرالي في برلين إمامه مثلي، وقد أمّتهم في صلاة الجمعة امرأة متبرجة، واصطف خلفها الرجال والنساء جنبا إلى جنب. واستضاف المذيع "سيران أطيش" محامية وناشطة ألمانية من مؤسسي مسجد "ابن رشد- غوته"، والإمام المثلي ذو الأصول الجزائرية -الله المستعان- إضافة إلى عضو المركز الدولي لحوار الحضارات والأديان التونسي لطفي الشرندلي، ومقابل هؤلاء استضاف الإمام والداعية عبد العظيم كموس، والشيخ أحمد المالكي عضو المكتب الفني للمستشار القانوني لشيخ الأزهر.
- "أنا ملحد لماذا يرفضني المجتمع": خُصّصت الحلقة لمعالجة مشكلة المخاطر التي تعترض طريق الشخص الذي لا يقتنع بالديانة التي وُلدَت معه، ويرضخ لشكوكه في بيئة عربية ترفض الإجابة عن أسئلته عن حقيقة وجود

1) يمكن متابعة لقاءاته الصحفية وجميع حلقات برامجه على منصة يوتيوب، أو مطالعة محتوى اللقاءات مكتوبا في المدونات الإلكترونية على غرار موقع "الشرق الأوسط".

إله وحقيقة الأديان، وغالبا يعقب هذه الأسئلة إعلان الإلحاد لرفض فكرة وجود إله. ويتساءل المقدم: لماذا لا يتقبل المجتمعُ الملحدَ؟ هل هو تعدٍّ على حرمة الدين؟ ولكن أين حرية المعتقد؟ وضيوف حلقته جزائري وزوجته السعودية الملحدان اللذان تركا أرض التوحيد بعد إلحادهما، ومحمد الهاشم الملحد الذي طرده محمود عبد الحليم مقدم برنامج "الشارع المصري" على الهواء مباشرة إلى جانب محمد غنيم رئيس تحرير البرنامج.

- "أنا منقبة! أنا ملحدة! لماذا لا يتقبلنا المجتمع؟": استضاف البرنامج في هذه الحلقة سيدتين: رنا أحمد السورية مسلمة ترعرعت في السعودية في بيئة محافظة، وألحدت بسبب إجبارها على التقيد بالمنهج الإسلامي الذي وصفته بالمتشدد. الضيفة الثانية نورا إيلي ملحدة سويسرية أسلمت وارتدت النقاب بعد عام من إسلامها، وأضحت من زمرة المضطهدات في بلدها سويسرا بسبب قرار منع النقاب.
- "حر لا أريد الصيام... لماذا يعاقبني القانون؟": تحاول الحلقة الإجابة على السؤال الذي يطرحه المشككون والرافضون للدِّين مع حلول شهر رمضان سنويا وهو: هل الإفطار العلني حرية شخصية؟ وعُقدت مقارنة بين الدول العربية الإسلامية والدول الأوروبية؛ فالأولى تعاقب المفطر المجاهر وتنبذه شعوبها، بينما الثانية تكفل قوانينها تحريم الصيام ضمن حرية الاعتقاد، وأشار المقدم إلى الانتقاد الاجتماعي لصيام المسلمين خاصة الأطفال؛ لأنه في نظرهم غير صحي.
- "مؤمن أو لا ديني أو ملحد... هذه حريتي!": الحلقة فضاء لعرض تجارب مختلفة قرر أصحابها تغيير دياناتهم أو تركها نهائيا، وما يعقب هذه القرارات من ضغوط وتهديدات في الدول العربية، ومن نماذج الحلقة عراقية تركت الإسلام إلى المسيحية، وليبي مسلم اختار أن يكون لا دينيا، والألماني بيورن ماينكه الذي صرّح باسمه الحقيقي نشأ مسيحيا ثم أسلم.

والحقيقة أننا لا يمكننا أن نصف جعفر وبرامجه بالقبول كثيرا، فقد جاءت الحلقة قبل الأخيرة من برنامج "شباب توك" بعنوان: "أنا ملحد، ولكن القانون يمنعني... ماذا أفعل؟" واستطاعت أن تحصد ما يزيد عن 48 ألف مشاهدة، لكن هذا الرقم ليس دالا على الإعجاب والموافقة فقد أثارت الحلقة سخط المشاهدين، فجاءت كثير من التعليقات سواء على القناة في اليوتيوب أو صفحة القناة على الفايسبوك في شكل ملاحظات شاتمة وساخرة وقد أشار الكثير إلى الطبيعة السجالية التي سيطرت على الحلقة، فقد تمخضت عن ركام من التلاسن بين الضيوف لتحقيق رغبة القائمين على البرنامج في تفجير معركة فارغة لا تُتاح فيها فرصة للضيف ليطرح تصوره بشكل موضوعي ومتماسك؛ لأنه منشغل بالخصام.

وقرأتُ تعليقات الحلقة الأخيرة من برنامج "شباب توك" ولم تكن كما أمل المقدم؛ فقد ردّ الجمهور على سؤال جعفر عمّا غيره برنامجه فيهم، وكان شبه اتفاق على عدم تأثير برنامجه على المشاهدين، ولم يلحظوا تغييرا عمليا، ورأى بعضهم أن مواضيع البرنامج ليست كما يروج لها إنما هي تكرار عقيم لا فائدة منه. وأشير هنا إلى أن الحلقة قدّمت المسلم في أسوأ صوره ليقع فريسة سخرية اللبرالي العربي، فقد تحدث الضيف المسلم باللغة العربية الفصحى التراثية، وفاح كلامه عن استعلاء منفِّر لا يعبِّر عن أخلاق المسلمين، وعلى عكسه تحدث الملحدون بسطحية ونبرة عاطفية وتلقائية في الطرح.

وعاب متابعون كُثر البرنامج لأنه من وجهة نظرهم لا يسعى حقيقة إلى التغيير النافع، إنما يبحث دائما عن مواضيع خلافية شائكة وشاذة فقط للإساءة إلى الإسلام، واتهموا القناة والقائمين على البرنامج بمحاولة زعزعة إيمان المسلمين وتفكيك المجتمعات العربية.

ومن صور رفض المتابعين لبرامج جعفر التهديدُ الذي طاله وقناة "السودانية 24" المشاركة في حلقة من برنامج "شباب توك"، تحدّث فيها عن وضع النساء في السودان، واستضاف وئام شوقي الفتاة السودانية البالغة من العمر 28 سنة، التي انتقدت حال المرأة السودانية، وادعت أنها تعامل معاملة البضاعة رافضة فكرة إلزامها بارتداء الحجاب، ودفعتها جرأتها إلى توجيه كلامها مباشرة إلى الضيف محمد عثمان صالح وهو رئيس هيئة علماء السودان لتؤكد أن لباسها حرية شخصية والحجاب تقليد مريض. أثارت تصريحات الفتاة جدلا حادا في البلاد عززته مواقع التواصل الاجتماعي. وخرج محمد عثمان عن صمته حين برر موقفه قائلا: «فوجئت بالموقف، وكان أمامي خياران؛ إما الجلوس أو الانسحاب، رجّحت الجلوس والاشتراك تحسبا لعدم استغلال الموقف والادعاء بأن العلماء يهربون من الحوار حول قضايا الشباب، فقررت البقاء والرد على أية شبهات أو مجادلات حول ما نراه حقا». قرار حكيم ينمّ عن حنكة الشيخ في المجال، واستيعابه لجدية القضية وما يدور حول العلماء من إشاعات، ما وفّقه إلى المواجهة الحكيمة.

وفي غمرة الانتقادات التي طالت المنابر في المساجد، التفت الأئمة إلى المقدم وهاجموه ومن بينهم الإمام محمد الأمين إسماعيل خطيب مسجد الفتح فقال عن جعفر: «هو يأتي إلى بلدنا لنشر الكفر والإلحاد والعلمانية، وبث الشكوك حول ركائز ديننا، واتخاذ رجال الدين هزوا، ودعم الكفار، وتحرير البلاد! تحريرها من ماذا؟ من أوامر رب العالمين؟». وقد وُضعت قناة "السودانية 24" تحت الحراسة الأمنية واستجوبت سلطات الأمن مديرها حول التعاون

مع قناة "دويتشه فيله". ولكن ومن غير المفاجئ لم يهتم جعفر بهذه الهجومات ورأى أن ممثلي الدين كما يسميهم يلجؤون إلى لغة الكراهية، وشجع الفتاة وغيرها من الشباب الذين تحدوا واقعهم وتبنوا مهمة المطالبة بحقوق المرأة.

ب. الأفلام والمسلسلات والرسوم المتحركة

تمادت الوسائل الإعلامية مؤخرا في الدعاية لظاهرة الإلحاد عبر مختلف وسائلها المعاصرة، من ذلك شركة Netflix وغيرها من الشبكات العالمية التي تحرص على نشر الإباحية والمثلية الجنسية، وتدعو صراحة إلى الخروج عن العائلة[1]، وتُسوق للمشاهد المسلم كل ما يتعارض مع أخلاقه وقيم دينه للتأثير عليه تدريجيا، وتمرير الجرعة الإلحادية خلف الفكرة المحورية للفيلم، من ذلك فيلم "The invention lying"[2] الذي يعطي الأمل للناس عن طريق اختراع الكذب، هذا الفيلم الترفيهي من بطولة (ركي جرفيز) ممثل مخلص لإلحاده، ويتلخص دوره في شخصية مارك الذي يعيش في مجتمع لا يعرف الكذب مطلقا ولا يتعقل معناه، ولم تكن حياة مارك سعيدة حتى إنه يطرد من العمل والجميع يكرهه ويكاشفونه بذلك، وما إن يكتشف الكذب حتى تزهر حياته بالسعادة. وفي إحدى اللقطات حيث مرضت والدته ويصارحه الطبيب بقروب أجلها، يكذب مارك ليطمئنها بأنها ذاهبة إلى مكان جميل حيث جميع أحبائها بانتظارها، وقد صدقت ذلك وماتت سعيدة، وسمع الطاقم الطبي الكذبة وصدقوها بطبيعة الحال، وعند عودته إلى البيت يجد جمعا غفيرا في انتظاره، فيخترع كذبة دونها على "علبة بيتزا" سماها الوصايا العشر، وادعى أن رجلا في السماء هو المسيطر على كلشيء وكل ما يقع في الأرض من إدارته، وقد كلمه وسرد ما أملاه عليه من وصايا الخير ومجانبة الشر وتفاصيل الحياة بعد الموت، ليصبح مارك المنبوذ نبيا في أعين الناس، وقد ظهر لاحقا بمظهر عيسى عليه السلام في الصورة النمطية المرسومة له في التصور الغربي النصراني. وهكذا نجح الفيلم في تمرير فكرة "وجود الله" و"الحياة الأخروية" كذبة اخترعها الإنسان لمصالح شخصية، أو في الحالة الأفضل لنشر الطمأنينة والنظام[3].

ومن الأفلام التي تسوق للخروج عن القوانين الدينية فيلم "Equili brium"[4] وقد تناول الفيلم الهندي "PK"[5] الأديان بطريقة استهزائية –الله المستعان– وبدأ العرب يُبدعون في كسر أعرافهم ليحصلوا على فرصة النشر في الشركة.

---

1) ينظر، عادل عاشور محمد المرغني، المرجع السابق، ص: 283

2) اختراع الكذب

3) لمزيد من النماذج ينظر، عبد الله بن صالح العجيري: (ميليشيا الإلحاد، مدخل لمفهوم الإلحاد الجديد) مركز تكوين، المملكة العربية السعودية، ط: 01 (2014)

4) التوازن

5) الرجل السكران

ومن عجيب ما رأيته من الدراما العربية خلال بحث سريع أنهم خلّدوا قصص بعض الملحدين العرب، وقدّموا سيرهم على أنها سير أبطال، من ذلك مسلسل "الرحلة والرحيل" الذي حكى مأساة الشاعر الكويتي الملحد فهد العسكر في ثلاثية أنتجت سنة 1979م، باللغة العربية الفصحى. وقد أدى الممثل المصري نور الشريف ثلاثة أدوار للشخصية الملحدة ففي سنة 1974 أدى شخصية "شوقي" في (الإخوة الأعداء) وهو ملحد مثقف مجاهر بإنكار الوجود الإلهي، وهو عمل مستوحى من رواية "كرامازوف" لديستوفسكي. وبعد سنتين شارك في فيلم (لقاء هناك) بشخصية "عباس" الرافض لوصاية أبيه الدينية التي ظهرت بصورة التشدد، ليرفض بعدها الوصاية الإلهية. ودوره الأخير كان سنة 1993 في فيلم "الرقص مع الشيطان" في شخصية أستاذ جامعي عائد من بعثة دراسية لتحضير الدكتوراه في الاتحاد السوفيتي محملا بالأفكار المادية والإلحادية. ونهاية أفلامه تتفق في اعترافه بوجود الخالق لكن لا يغيب عن أي عاقل الحجم الزمني الذي يُمنح لشخصية الملحد لتطرح أفكاره خاصة أن أصحابها من خيرة أبناء المجتمع، ولا يمنح لشخصية التائب إلا دقائق عابرة لا تحمل أي حجة مقنعة قد تصرف عن المشاهد إعجابه بحجج الملحد.

والمسلسلات وآراء الممثلين والفنانين كلها تشجع الشباب على انتداب هذه الأفكار، ويُزينون لهم الحياة التي يروجون لها. وإذا سلّمنا بعدم مبالاتهم بالحكم الشرعي للتمثيل ولمشاهدة المسلسلات والأفلام ورُحنا نحلل ظهور الشخصية المسلِمة نجد حربا شرسة تُحاك ضدها، فالمرأة المحجبة الملتزمة بالحجاب الشرعي غالبا تظهر بصورة الخائنة والمنافقة والسارقة، بينما الراقصة وبائعة الهوى تكون طيبة مظلومة وذكية، وتُبرَّر أفعالها المخالفة لدين الله بالظروف الاجتماعية. وليس الرجل أحسن منها حالا، فالرجل المسلم المستقيم لا يخرج عن أربع صور شائعة في الانتاج التلفزيوني المسلم:

– الرجل الإرهابي الظالم المغتصب، الذي يعيث في الأرض فسادا باسم الدين، وكل أفعاله الدنيئة يبررها بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال العلماء، التي يستعملها في غير الموضع الذي قيلت فيه لحاجة في نفسه.

– الرجل التافه الأحمق الذي يكون بهلوان المسلسل والأضحوكة بين الشخصيات.

– العالم الذي يكتسي حلة التخلف، يُلزم نفسه وأهله وأصحابه بالحديث باللغة العربية الفصحى، وأسلوب حديثه ركيك فلا يحترم مخارج الحروف ولا قواعد اللغة نحوا وصرفا، ولا يتحرك من مكان إلا وبيده كتاب يتشبث به، وكل أفكاره رجعية ويمقت العلم الدُنيوي ويرفضه، ويمنع أخواته من طلب العلم. وإذا كان راقيا ظهر بشخصية المشعوذ المخادع.

– عاشق التعدد الظالم للمرأة المهين كرامتها، العاشق للعلاقات الجنسية العنيفة، العاشق للنساء عموما وللهروب من زنا النظر يفر إلى التعدد.

وتسهر الأعمال العربية على إبراز شخصية النصارى واليهود والملحدين في أحسن صورة، فهم أصحاب القلوب الطيبة والأفكار الراقية الذين يأخذون العالم إلى بر الأمان.

ثم إن هناك عدوا شرسا يتربص بناتنا وأطفالنا بالدرجة الأولى ألا وهي برامج الرسوم المتحركة خاصة الأنمي اليابانية (Anime)، فهي تعمل بذكاء رهيب، لا تصدِّر أفكارها بصورة مباشرة؛ فلو نلاحظ الرسوم المتحركة القديمة التي عُرضت لجيل التسعينات مثلا، كانت تدسُّ فكرة الصداقة البريئة بين الولد والبنت، وهذه البراءة مردُّها جهود المدبلجين الذين غيّروا طرح الفكرة، ثم تطور الأمر لتُقنع المتفرج ببراءة العلاقة الحميمة بين الشاب والفتاة، وتُسلّمه للأعمال التلفزيونية لتُكمل توجيهه. واليوم صار الترويج لحرية العلاقة بين الطرفين من الجنس الواحد، وقد لاقوا دعما واسعا لأنهم أذكياء في التدرج في نشر أفكارهم.

3– الدعاية إلى الإلحاد عبر النشر الورقي

تعاني المكتبة الإسلامية افتقارا شديدا إلى كتب ودراسات دقيقة في نقد الإلحاد المعاصر، في مقابل الوفرة التأليفية لدعاة الإلحاد. وقد ساهمت دور النشر في بث هذا الفكر المنحرف؛ بنشرها الكتب الفكرية الفلسفية التي تصادم ثوابت الإسلام وتزيّن التحرر من التدين، بالإضافة إلى ما تبثه من روايات وتجارب منحرفة يتبناها الشباب.

وسأسوق بعض النماذج لأقلام عربية ملحدة كان لها أثر كبير في نشر الإلحاد في بلاد الإسلام وأبرز هؤلاء:

1– عبد الله بن علي القصيمي (1907/1996م):

المفكر السعودي المعروف بقلمه المنافح على الإسلام قبل أن يرتدّ على دبره ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ويعلن رِدته وإلحاده الصارم وغير المهادن ليصبح أبرز الملحدين المعاصرين وأكثرهم غلوا وتطرفا؛ ما جعل الناس يُعرضون عنه. وسلّ قلمه للدعوة إلى التحرر من سلطة الدين والفضيلة والأخلاق[1]، بجرأة وتبجح وعبارات قاسية. ولم يزده إلحاده إلا غطرسة وكبرا فنراه يكتب على الغلاف الخارجي لكتابه "هذه الأغلال": «سيقول مؤرخو الفكر إنه بهذا الكتاب بدأت الأمم العربية تبصر طريق العقل». ووصف كتابه قائلا: «إن ما في هذا الكتاب هو من الحقائق الأزلية الأبدية التي تفقدها أمة فتهوى؛ لأنها فقدت حقيقة من حقائقها الطبيعية، وتأخذ بها أمة أخرى فتنهض؛ لأنها قابلت الطبيعة الكاملة بطبيعتها الكاملة... ولن يوجد مسلم واحد بين الأربعمائة المليون مسلم،

1) ينظر، سوزان رفيق إبراهيم المشهراوي: المرجع السابق، ص: 991

يستغني عن هذه الأفكار إذا أريدت له حياة صحيحة طبيعية»[1]. ورد الشيخ السعدي على هذا الكتاب فقال: «لقد وقفت على كتاب صنفه القصيمي سماه: «هذي هي الأغلال»، فإذا هو محتوٍ على نبذ الدين والدعاية إلى نبذه والانحلال منه من كل وجه، وكان هذا الرجل معروفًا بالعلم والانحياز إلى مذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة، فلم يرع الناس في هذا العام حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقًا. وبعد ما كان في كتبه السابقة معدودًا من أنصار الحق، انقلب في كتابه هذا من أعظم المنابذين له»[2]. وإليكم جملة من أشهر مؤلفاته التي غدت من كلاسيكيات الإلحاد العربي المعاصر[3]: كيف ضلّ المسلمون. أيها العقل من رآك. الإنسان يعصي لهذا يصنع الحضارات. هذا العالم ما ضميره؟ العرب ظاهرة صوتية. يكذبون كي يروا الإله جميلا. لئلا يعود هارون الرشيد مرة أخرى. أيها العار إن المجد لك.

ومما يعيب إنتاجه العلمي كذلك إعراضه عن الإحالة إلى المراجع التي استقى منها معلوماته؛ وهذا دليل سرقاته العلمية. وهذه لمحة سريعة على أفكاره المنحرفة حيث يقول: «من المعلوم أن أوروبا يوم أن كانت مؤمنة بالكنيسة متدينة كانت في ذلك الهوان والضعف والعجز الذي نعرفه ونقرأه، فلما أن فرت من إيمانها وتنازلت عن ذلك الأمل الأخروي! وجعلت الصناعة والتجارة والحياة الكبيرة القوية هي آلهتها التي وحدتها، وأبت الإشراك بها، صعدت بالحياة»[4].

واتهم المسلمين بالنفاق والتصنع في وصف أدائهم للعبادات فقال: «... فإذا بلغوا مكانة من الإيمان هبوا يلتمسون رضا هذا الإله على ما تصوروا، وهبوا يتملقونه وينافقونه ويصنعون ما يحبون أنه ينيلهم رضاه وعطفه، وأرصدوا جل قواهم وأوقاتهم وأعمالهم لهذا السبيل، ليدركوا لديه ما يشتهون ويبتغون، فشغلوا بذلك عن سلوك السبيل، وعن محاولة القيام بالأعمال النافعة المجدية؛ لأن تصورهم للأشياء قد أصيب بالفساد، وإذا فسد التصور فسدت الأعمال لا محالة»[5].

---

1) عبد الله علي القصيمي: (هذه هي الأغلال) مطبعة مصر شركية مساهمة مصرية، القاهرة (1946) ص: 03

2) السعدي عبد الرحمن بن ناصر: (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله) دار إحياء الكتب العربية، الحجاز، ص: 03

3) ينظر، أحمد عبد الحليم عطية: (ما بعد العلمانية وظاهرة الإلحاد، رؤية نقدية في الحالة العربية) مجلة الإستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد: 08 (2017)، ص: 228-229

4) عبد الله علي القصيمي: المرجع السابق، ص: 319

5) عبد الله علي القصيمي: المرجع السابق، ص: 316

2- إسماعيل أدهم (1911م/1940م):

أحد أشقى دعاة الشعوبية[1]، وُلد لأب مسلم وصفه بالمتعب للإسلام والمسلمين، وكذلك وصف عمه لأنه لا يسمح له بالتهاون في أداء شعائر الإسلام خاصة صلاة الفجر في وقتها وصيام رمضان وحفظ القرآن، وأمه مسيحية بروتستانتية تميل إلى حرية الفكر والتفكير، واقتدت بها ابنتاها فلقَّنتا إسماعيل تعاليم المسيحية وكانتا تصحبانه كل أحد إلى الكنسية[2]؛ وهذا مبرره لما آل إليه فعقل الطفل لم ينجح في الجمع بين التوحيد والتثليث.

اشتهر بطعنه في المسلّمات، وخروجه على الأديان كلها وإيمانه بالعلم وحده، وأسس «جماعة نشر الإلحاد التي تحولت فيما بعد إلى فرع من جمعية نشر الإلحاد الأمريكية»[3]. قدّم مجموعة من الدراسات منها دراسة عن طه حسين وأخرى عن المفكر المصري إسماعيل مظهر، وألّف رسالة "لماذا أنا ملحد؟" تحدث فيها عن جماعته فقال: «أسست (جماعة لنشر الإلحاد) بتركيا، وكانت لنا مطبوعات صغيرة كل منها في 64 صفحة أذكر منها: ... ماهية الدين، وقصة تطور الدين ونشأته... وبعد هذا فكرنا في الاتصال بجمعية نشر الإلحاد الأمريكية التي يديرها الأستاذ تشارلز سمث، وكان نتيجة ذلك انضمامنا له وتحويل اسم جماعتنا إلى (المجمع الشرقي لنشر الإلحاد)»[4].

رد على رسالته الدكتور أحمد زكي أبو شادي بمقال موسوم بـ: "لماذا أنا مؤمن؟" في 28 صفحة وهو ملحق بمجلة "أدبي" نشرته مطبعة التعاون بالإسكندرية سنة: 1937، ونشر الدكتور أحمد الهواري في الأعمال الكاملة له -الجزء الثالث- مقالة محمد فريد وجدي التي رد فيها على رسالة إسماعيل أدهم بعنوان: "لماذا هو ملحد؟". وساجله الشيخ الأزهري يوسف الدجوي عبر سلسلة مقالات موسومة بـ: "حدث جلل لا يمكن الصبر عليه". لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد حققت معه النيابة وصادرت رسالته وفتشت منزله ووجدت ملفات من بحوث متعددة عن فلسفة الوجود والارتقاء[5].

3- صادق جلال العظم: (1934م/ 2016م)

1) الشعوبية: سعي المغلوبين الذين قامت الحضارة الإسلامية على أنقاض حضارتهم (خاصة الفرس) للانتقام.

2) إسماعيل أحمد أدهم: (لماذا أنا ملحد) دار النشر الإلكتروني، ص: 05

3) أحمد عبد الحليم عطية: المرجع السابق، ص: 227

4) إسماعيل أحمد أدهم: المرجع السابق، ص: 07

5) ينظر، أحمد عبد الحليم عطية: المرجع السابق، ص: 227

ملحد سوري، ولد بدمشق لأب علماني معجب بتجربة كمال أتاتورك في تركيا. نشأ في بيت متحرر لا يعرف أحكام دينه فيقول: «لم يكن أحد حولي يصلي أو يصوم»[1].

صاحب كتاب "نقد الفكر الديني" الذي صرّح فيه بإلحاده وجاهر بأفكاره ودعا إليها. حشاه بالمغالطات والسفسطة، وخلاصته أن الدين يناقض العلم الحديث وركّز على الإسلام أكثر من غيره من الشرائع، لكنه لم يعترف بذلك إنما ادعى أنه أقام الحجة على المسلمين وأثبت عدم وجود إله خالق ومدبر للكون. وقد حُكم عليه بالسجن بسبب كتابه سنة 1970 لكن المحكمة برّأته في السنة نفسها. وهذه بعض الشواهد من كتابه ولمن أراد الاطلاع أكثر يمكنه العودة إلى مؤلَّفه، يقول العظم:

– «إن كلامي عن الله وإبليس والجن والملائكة والملأ الأعلى لا يُلزمني على الإطلاق بالقول بأن هذه الأسماء تشير إلى مسميات حقيقية موجودة ولكنها غير مرئية»[2].

– «أصبح الإسلام الأيديولوجية الرسمية للقوى الرجعية المتخلفة في الوطن العربي وخارجه: السعودية، إندونيسيا، الباكستان»[3].

– «إن الدين بديل خيالي عن العلم»[4].

وبلغت به جرأته للطعن في القرآن خاصة ما تعلق بالقصص القرآني، وعدّه من قبيل الأسطورة التي يرفض العقل الحديث تقبلها، وضرب مثالا بقصة خلق آدم عليه السلام وسجود الملائكة له وإخراج الشيطان من الجنة.

تصدى كثير من علماء المسلمين لهذا الكتاب على رأسهم الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه "صراع مع الملاحدة حتى العظم". ورأى الشيخ أن العظم ألّف كتابه «خدمة متحمِّسة للماركسية والداروينية والفرويدية، وسائر النظريات بل (الفرضيات) اليهودية الإلحادية، وهو في كل ذلك يتستر بعبارات التقدم العلمي والصناعي،

1) ينظر، صقر أبو فخر: (حوار بلا ضفاف مع الدكتور صادق جلال العظم) مجلة الدراسات الفلسطينية، مج: 08، ع: 32 (1997) ص: 32/ 35

2) صادق جلال العظم: (نقد الفكر الديني) دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط: 02 (1970) ص: 86

3) صادق جلال العظم: المرجع نفسه، ص: 23

4) صادق جلال العظم: المرجع نفسه، ص: 24

والمناهج العلمية الحديثة، ولا يقدم من البينات إلا قوله مثلاً: إن العلم يرفض هذا، أو لا يُسلم بهذا، أو يثبت هذا، دون أن يطرح مناقشات علمية نقدية تتحرى الحقيقة»[1].

وممن ردّ عليه الشيخ محمد حسن آل ياسين في كتابه "هوامش على كتاب نقد الفكر الديني"، تطرق فيه إلى بحث العظم عن إبليس فقال إنه: «لم يكن من بنات أفكاره، ولا من وحي ثقافته العلمية، وإنما استقى خطوطه الأساسية من بحث المستشرق "ترتون" في بحثه عن الشيطان، وبحث المستشرق "فنسنك" في بحثه عن إبليس المنشورين في الانسكلوبيديا الإسلامية»[2]. ورأى أنهما تميزا بالموضوعية والإخلاص أكثر منه وردّ ذلك إلى سمعتهما العلمية، دون أن ينكر وجود الخطأ في بحثيهما. وبرر الشيخ زَلَلَه بأنه لم يعد إلى النص المترجم واكتفى بالنص الأصلي الأجنبي؛ لأنه لو فعل لوقف على تذييل الشيخ أمين خولي وتصويباته وهذا من شأنه أن يقيه من السقطات التي أوقع نفسه فيها.

وأحب توضيح حقيقة دفاع صادق جلال العظم عن إبليس وهو قد صرّح سابقا بعدم إيمانه بوجوده؛ لأنه لا يؤمن بوجود خالق. في البداية سأنقل دفاعه عنه حين قال: «يجب أن نرد له اعتباره –أي إبليس– بصفته ملاكاً يقوم بخدمة ربه بكل تفان وإخلاص!... يجب أن نكف عن كيل السباب والشتائم له، وأن نعفو عنه ونطلب له الصفح ونوصي الناس به خيراً»[3]. لم يكن هذا تناقضا منه أو خطأ إنما هو ملتزم بمنهج دراسته القائمة على التفكير الميثولوجي الديني الناتج عن خيال الإنسان الأسطوري وملكاته الخرافية؛ فهو درس شخصية إبليس باعتبارها شخصية ميثولوجية أبدعتها مَلَكَة الإنسان الخرافية وعمل خيالُه على تطويرها[4].

ودفاعه عن إبليس راجع إلى اقتناعه بأن مخالفته للأمر الإلهي في حقيقتها انسجام تام مع المشيئة الإلهية؛ فمن وجهة نظره لو أن إبليس سجد لآدم عليه السلام لخرج عن حقيقة التوحيد. وتمادى في نصرته لإبليس إلى أن قبل مبرره لعدم السجود؛ لأنه يراه مبررا منطقيا وواضحا إذ قال: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [سورة الأعراف: 12] فلم يعدها من قبيل المفاضلة بين النار (جوهر إبليس) والصلصال (جوهر آدم عليه السلام) فليست استكبارا ولا فخَارا بقدر ما كانت استذكارا لحقيقة أساسية شاءها الله وأوجدها على ما هي عليه، وهذا

1) حبنكة الميداني عبد الرحمن حسن: (صراع مع الملاحدة حتى العظم) دار القلم، دمشق، ط: 05 (1992) ص: 14

2) آل ياسين محمد حسن: (هوامش على كتاب نقد الفكر الديني) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط: 02 (2010) ص: 71

3) صادق جلال العظم: المرجع السابق، ص: 128

4) صادق جلال العظم: المرجع نفسه، ص: 83

التحليل فلسفي لنظام الكون وترتيب الطبائع وفقا لدرجات الكمال والتفصيل فيه يطول، وناقش كذلك المبررات الأخرى وموقف الملائكة.

وردّ عليه كذلك الأستاذ جابر حمزة فراج في كتابه "الرد اليقيني على كتاب نقد الفكر الديني". والأستاذ عزت نصر الله في كتابه "تهافت الفكر الشيوعي". وذكره الأستاذ عزة دروزة في كتابه "القرآن والملحدون"، والدكتور عبد اللطيف الفرفور في كتابه "تهافت الفكر الجدلي". وهناك دراسات أخرى منها المطبوع ومنها ما لم يُطبع بعد على غرار رسالة الباحث حسن بن محمد الأسمري الموسومة بـ "موقف الاتجاه الفلسفي المعاصر من النص الشرعي".

ولم يكن هذا الكتاب الوحيد الذي أثار الجدل ففي سنة 1992م أصدر كتاب "ذهنية التحريم" الذي دافع فيه عن سلمان رشدي وروايته "آيات شيطانية"[1].

كانت هذه لمحة مختصرة عن بعض ضحايا التحرر الفكري الذين نَكصُوا على أعقابهم بعد أن أبصروا طريق الحق في بيئة عربية مسلمة، فصدق فيهم قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ**﴾ [سورة التوبة: 115].

وأستغل هذه النقطة للإشارة إلى الانتشار الرهيب لدور النشر الجزائرية –على الأقل– التي فتحت باب النشر للجميع طالما يمتلكون ثمن النشر فغايتها الأسمى الربح المادي –إلا ما رحم– فلا تؤدي لجان القراءة مهمتها لتمحيص الأعمال قبل نشرها، وتقدمها بسلبياتها على طبق من ذهب للشباب المغَيَّب عن الساحة الثقافية وما فيها من رسائل مشفرة، وتُبدع في التسويق لها وجذب القراء الشباب إليها، وفي المقابل لا يلقَ الكتاب الديني التعليمي حقه في التسويق شأن الروايات وكتب التنمية البشرية الهدّامة.

4– الدعاية إلى الإلحاد عبر المواقع الإلكترونية

الأنترنت هي المتنفس الأمثل للملحد العربي؛ حيث صارت تضج بمواقع إلكترونية مشبوهة، تدَّعي التنديد بالظلم ونصرة المظلومين لتحسن بث ما شاء داعموها من أفكار إلحادية، فكبار الملاحدة يتستَّرون خلف شخصية عامة لإدارة مثل هذه المواقع دون أن يشك أحد فيهم. والحقيقة المؤسفة أن دعاة الإلحاد اليوم على عكس كثير من

1) آيات شيطانية أو (The Satanic Verses) رواية من تأليف الكاتب البريطاني سلمان رشدي ذو الأصولي الهندية. صدرت في لندن سنة 1988م. منعت من عدة دول إسلامية، وخرجت مظاهرات تنديد بالكتاب، وقد أتلفت نسخ كثيرة منها في برادفور في المملكة المتحدة، وأصدر الخميني في 1889/02/14 فتوى بإباحة دم سلمان رشدي؛ وذلك لما حوته من إساءة للإسلام سواء عبر المساس بالمقدسات أو سوء استغلال حرية التعبير التي فضحها أحمد ديدات في كتابه "شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدي الغرب".

علماء الدين أبهروا العالم في تفوقهم في استغلال العالم الافتراضي، واحترافيتهم في إيصال أفكارهم مع المحافظة على صورتهم البريئة أمام المتلقِّين. ومن أبرز المواقع الإلحادية العربية: كوكب الملحدين. قناة الملحدين بالعربي. قناة الإلحاد العربي.

وسأكتفي بنموذج واحد عن المدونات الإلكترونية وهو "مجلة الملحدين العرب" وهي مجلة رقمية تأسست سنة 2010م وأول ظهور لها كان باسم "شبكة ومنتدى الملحدين العرب". أسسها ملحد سوري أطلق على نفسه اسما مستعارا "الغراب الحكيم"؛ وهو شاب ثلاثيني يعمل مُدوِّنا ورساما كاريكاتوريا. لا تنتمي المدونة لأي توجه سياسي، إنما هي جهود فردية لصاحبها ورفاقه بهدف فتح باب النقاشات حول الأديان من خلال غرف الدردشة بين الملحدين والمتدينين.

بعد سنة 2012 تعرضت مدونات الملحدين وصفحاتهم على المواقع لحملات قرصنة أدت إلى إغلاق العديد منها، وبذلك ضاعت كثير من المقالات والمناظرات. الأمر الذي دفع "الغراب الحكيم" إلى الاجتماع بصديقيه الكاتب عادل أحمد سوداني ذو خلفية إسلامية، وفينوس صفوري عراقية ذات خلفية مسيحية. الحل الذي توصلوا إليه هو تأسيس أول مجلة تعبر عن الملحدين وتكون منبرا لهم، وتواصلوا مع الملحدين العرب المعروفين خاصة الكُتَّاب والمدونين أمثال المدوِّن المصري أحمد حسين حرقان، والسوري جان برو، وصار اسم الشبكة رسميا "مجلة الملحدين العرب" وهي مستقلة عن الموقع الأول، تصدر شهريا ولها هيكل إداري وتحريري واختيرت فينوس صفوري أول رئيسة تحرير للمجلة، لكنها لم تستمر طويلا وخَلَفها عادل أحمد ثم الطبيبة غايا أثيست.

وحسب تصريح الغراب في المدونات لم يعد نشر الإلحاد وكشف الأديان على حقيقتها يفي بالغرض، فرئيسة التحرير غايا عملت على إضافة هدف جديد هو "التنوير" وذلك من خلال فتح الباب لكل تنويري ليعبر عن أفكاره ويُوَثق مقالاته، وصارت المجلة مرجعا للمشككين يرجعون إليه للاطلاع على المواضيع الشائكة والمحظورة خاصة ما تعلق بالدين، وأعلنت رئيسة التحرير أن زوار المجلة بلغ سنة 2016 تقريبا 5 ملايين زائر.

نشرت المجلة عدة مقالات مثيرة للجدل التي تسببت في وصول تهديدات للقائمين عليها على حد تعبير صاحبها، ومن ذلك مقالات الكاتب المصري موسى إيتايز: "هل حقا نزل الإسلام في مكة؟" و"نفي إعجاز القرآن في قصة أبي لهب في سورة المسد" نفى فيها وجود أي دليل تاريخي يؤكد نزول سورة المسد في حياة أبي لهب إلا المصادر الإسلامية التي لا يثق فيها. وهناك مقال "الإسلام والإرهاب" لكاتب وهمي حاول إثبات ارتباط الإسلام بالإرهاب.

وتتعدد أقسام القناة بين برامج ومقالات ووثائقيات ومكتبة تُتيح المطالعة الإلكترونية والتحميل. وتتنوع برامجهم بين المحتوى العلمي في الكون والفيزياء والحياة والتطور ونقد الأديان وتاريخها، وحوارات ومحاضرات، ومن بين هذه البرامج:

- عقلانيون مع بسام البغدادي: يناقش المغالطات المنطقية والحجج الفاسدة. من بين حلقات برنامجه:

  - خطر الإيمان بالسحر والجن والآلهة مثل الله.
  - لماذا يخافون الحرية؟
  - رضعنا الطائفية منذ طفولتنا فليس غريبا أن نذبح بعضنا
  - هل ستختار الله لو رشح نفسه رئيسا لجمهوريتك؟
  - ما هو الإلحاد؟ وهل ضرورة وجود الله تعني أن الله موجود؟

- حوارات ومحاضرات: مجموعة مقاطع أغلبها تتحدث عن عقول عصرنا ألمعية وإبداعا في حوارات ولقاءات تلفزيونية ومناظرات، نذكر منها:

  - مايكل شيرمر: عدة الكشف عن الهراء.
  - مناظرة ريتشارد دوكنز وجون لينكس: هل دفن العلمُ الله؟
  - إنتلجنس سكويرد: هل الإسلام دين سلام؟

- صندوق الإسلام: حامد عبد الصمد: مناقشة نشأة الإسلام والدعوة المحمدية في حلقات منها:

  - النبي محمد واليهود.
  - لماذا فشل قصي وهشام ونجح محمد؟
  - لماذا طعنت قريش في نسب محمد؟
  - من قتل محمد؟ ولماذا؟

وبينما يتهرّب بعض شبابنا من تعلّم اللغات الأجنبية نبغ فيها أعداء الدين واستعملوها على مواقع التواصل الاجتماعي خاصة فايسبوك وتويتر، وقد تبنَّاها الملحدون العرب كوسائل إعلامية يتكاثرون فيها؛ لأنها تتيح للمستخدم فرصة التستر على هويته. وتتباين أهداف هذه المواقع بين هدم خرافات الدين واستبدالها بالعقل وحده، أو نشر العلم عموما بعيدا عن الدين، أو مخاطبة الملحدين وفتح باب الحوار بينهم في عالم خاص بهم، أو التحذير

من الإسلام واتهامه بأنه خطاب يشجع على العنف ويحرّض أتباعه ضد الديانات الأخرى، أو استفزاز أصحاب العقائد الإيمانية عامة والمسلمين خاصة لا سيما بنشر صور القرآن الكريم محروقا أو ممزقا أو نشر صور كاريكاتورية مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم بالدرجة الأولى[1].

ولم تبقَ منصة يوتيوب بعيدة عن هذه القذارة الفكرية؛ فقد أنشأ كثير من الشباب العربي الملحد قنوات مخصصة للإساءة للإسلام تحديدا، وتنجح مقاطعهم التي يسهرون على جودة تصويرها وطرح فكرتها في حصد آلاف المتابعين، وتستهدف في الغالب فئة الأطفال، وتُنتقى عناوين المقاطع بعناية شديدة لضمان المشاهدة، ولا يهتمون بالكمِّ الهائل من التعليقات السلبية التي تصلهم؛ فكثرة التفاعل ولو سلبا يمنحهم فرصة الانتشار أكثر، كما أنهم سيؤكدون عدوانية الخطاب الإسلامي وسفه أهله.

وأطلق بعض الشباب العربي قناة تلفزيونية على الأنترنت تسمى: "العقل الحر"، وهي إحدى وسائل الإعلام العلمانية عبر الأنترنت حسب تعريف صاحبها، وصرّح أن هدفها تقديم أخبار بعيدة عن هيمنة الرقابة الدينية والحكومية إلى شعوب الشرق الأوسط والعالم[2].

أصبحت شبكة الاتصالات والمعلومات رافدا جديدا لبث المعارف والعلوم في مختلف الميادين، وهي أداة مشتركة بين الموحِّدين والملحدين؛ وهم مجتهدون في إنتاج البرامج الإعلامية والحوارية والأفلام التعليمية والوثائقية والترفيهية والمسلسلات والكتب والمجلات، الموجهة للكبار والصغار لتبث سمومها الإلحادية بجودة فنية توحي بضخامة التمويل والاحترافية في تكوين فريق العمل.

من جهتنا لم نستطع بعدُ مواكبة إنتاجهم، لكن هذا لا يمنع من السعي لإعداد برامج تحارب ما يبثه الإعلام المعادي والفضائيات ذات الاتجاهات الفكرية المنحرفة في بلدان الكفر، ومزاحمتهم في منتديات الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وتصوير مقاطع الفيديو القصيرة والهادفة، لبث العقيدة السليمة والمنهج القويم، والتعريف الدائم والشرح الواضح للمغالطات المنطقية التي يلجؤون إليها لتمرير إلحادهم أو شبهاتهم.

---

1) ينظر، سوزان رفيق إبراهيم المشهراوي: المرجع السابق، ص: 995

2) أحمد نور: (الإلحاد في العالم العربي: لماذا تخلى البعض عن الدين؟) موقع BBC News بالعربي (2015) http://WWW.bbc.com/arabic/middleeast/2015/08/150831_arab_atheism

خاتمة

الحمد لله الذي وفقني إلى المشاركة في خطّ حروف تعالج أخطر قضايا العصر الحديث؛ خاصة عند المسلمين، وهي الإلحاد. وبتوفيق من الله حرصت على جمع ما شاء الله لي جمعه لأصل في نهاية هذه الرحلة إلى إناخة مطاياىَ بأهم النتائج التي توصلت إليها وهي أن نجاح الملحدين في التسلل بين أبناء المسلمين راجع إلى تميزهم في فن الاستدراج؛ فصاحب الدعاية الملحد بارع في معرفة طبيعة الجمهور الذي يستهدفه، ليقدم دعايته غير معقدة ولا مباشرة، ويعتمد معه أسلوب التشويق والتدرج والمراوغة النفسية.

كما تقوم الدعاية الإلحادية على الاستراتيجية الإعلامية المعتمدة على التخطيط السليم والدقيق لمحتوى الرسالة الدعائية التي تكون على قدر كاف من الإقناع. ويقوم نجاح هذه الدعاية على حسن اختيار الزمان الذي تُطرح فيه.

ثم إن القاعدة المتينة التي حفظت انتشار الإلحاد بهذه القوة هي الدعم الدولي؛ من خلال توفير سيولة مالية ضخمة، وإعداد عقول خاصة لهذه المهمة، بينما ما زالت الجهود المسلمة فردية تعاني العجز المالي والتضييق.

وقبل أن تُفارقوا كلماتي أحببت أن أشارككم بعض المقترحات لتتكاثف جهودنا في مواجهة هذا الورم العفن، وسأسردها في شكل نقاط:

- السعي الحثيث لمنح خريجي كليات العلوم الإسلامية حق تدريس مادة "التربية الإسلامية" للأطفال في الابتدائي والمتوسط؛ لأنها مادة تحتاج متخصصين لتلقينها للطفل، مع عدم تفريغها من الدروس العقدية، فهذا الطفل يحتاج قاعدة متينة يبني عليها توجهاته ليكون جنديا على حمى الإسلام.
- إنشاء قسم خاص في جميع الجامعات في الدول الإسلامية من إشراف أساتذة متخصصين، يُعنى بالتعريف بمثل هذه الظواهر وبيان تاريخها وانحرافاتها، وتقديم الحجج الدامغة على فسادها بالعقل والنقل.
- تقديم الدعم المادي للجهات المهتمة بمواجهة الإلحاد، وترشيد المال الدعوي في نشر الكتب الفاضحة لهذا المخطط والموجهة لطلبة الجامعة بطبعات وفيرة بجودة عالية، مع تنظيم دورات لقراءتها وشرحها. وترجمة رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي تُنجز في هذا المجال ونشرها على نطاق واسع بعد عرضها على أهل الاختصاص للمراجعة العلمية، ومساعدة الشباب لصناعة محتويات مفيدة ونافعة.
- ضرورة مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي في ديار الإسلام.
- الاستفادة من الإعلام التقليدي العربي وتأهيل الدعاة للمشاركة الإعلامية، وبث خطب الجمعة والندوات العلمية، ولا بد من الرقابة على وسائل الإعلام في الدول الإسلامية والتضييق عليها إذا حاولت بث سموم

الانحراف، ومحاربتها مع تنظيم حملات مدروسة لتوعية الجمهور بخطورة مثل هذه القنوات. وتجنيد كبار المحامين المسلمين للمواجهة القضائية ضد كل من يسيء للإسلام في الداخل والخارج.

- تكوين الشباب من الجنسين قبل الزواج على بناء أسرة مسلمة صالحة، وتلقينهم أصول التربية، وإعدادهم لتحصين أطفالهم من التيارات الفكرية المنحرفة.
- إنشاء مؤسسات دولية خاصة لمواجهة مثل هذه الظواهر، تجمع علماء من جميع التخصصات ولجنة من كبار علماء الشريعة الإسلامية. تعمل على تكوين دعاة لمناظرة الملحدين والتصدي لشكوك أبناء المسلمين. وإتباعها بوحدة إعلامية تعرض ما يصلون إليه من ردود على الوسائل الإعلامية التقليدية والحديثة.
- تكاثف جهود الأمة بما في ذلك الشرطة الإلكترونية فتعمل على حظر جميع المدونات والحسابات المروجة للفكر الإلحادي ورفض عدِّه من الحريات الشخصية.
- عقد المؤتمرات والندوات وورش العمل التي تعالج الأفكار السامة المستوردة التي تنخر جسم الأمة، فتُؤهل النخبة لحمل مهمة توجيه العوام على عاتقهم.

بهذا تكون المداخلة قد تمّت ولله الفضل والمنة، وقد وصلت إلى حيث يوضع القلم جانبا داعية الله أن أكون قد وُفِّقت لدراسة الموضوع. فما كان منه صوابا فهو من الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان مما أقول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- القرآن الكريم

- أحمد عبد الحليم عطية: (ما بعد العلمانية وظاهرة الإلحاد، رؤية نقدية في الحالة العربية) مجلة الإستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد: 08 (2017).

- أحمد نور: (الإلحاد في العالم العربي: لماذا تخلى البعض عن الدين؟) موقع BBC News بالعربي (2015) http://WWW.bbc.com/arabic/middleeast/2015/08/150831_arab_atheism

- إسماعيل أحمد أدهم: (لماذا أنا ملحد) دار النشر الإلكتروني.

- آل ياسين محمد حسن: (هوامش على كتاب نقد الفكر الديني) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط: 02 (2010).

- حبنكة الميداني عبد الرحمن حسن: (صراع مع الملاحدة حتى العظم) دار القلم، دمشق، ط: 05 (1992).

- السعدي عبد الرحمن بن ناصر: (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله) دار إحياء الكتب العربية، الحجاز.

- سوزان رفيق إبراهيم المشهراوي: (الإلحاد المعاصر: سماته، وآثاره وأسبابه وعلاجه) بحث مقدم في مرحلة الدكتوراه، تخصص: الدعوة الإسلامية، جامعة أم القرى، (1440هـ).

- صادق جلال العظم: (نقد الفكر الديني) دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط: 02 (1970).

- صقر أبو فخر: (حوار بلا ضفاف مع الدكتور صادق جلال العظم) مجلة الدراسات الفلسطينية، مج: 08، ع: 32 (1997).

- عادل عاشور محمد المرغني: (دور وسائل الإعلام والاتصال الحديثة في حماية المجتمع من مخاطر برامج الإلحاد المعاصر) المجلة الدولية لعلوم الإعلام والاتصال، ع: 01 (2023).

- عبد الله بن صالح العجيري: (ميليشيا الإلحاد، مدخل لمفهوم الإلحاد الجديد) مركز تكوين، المملكة العربية السعودية، ط: 01 (2014).

- عبد الله علي القصيمي: (هذه هي الأغلال) مطبعة مصر شركية مساهمة مصرية، القاهرة (1946).

- محمد منير حجاب: (الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديما وحديثا) دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01 (1998).

- محمد ناصر جودت: (الدعاية والإعلان والعلاقات العامة) دار مجدلاوي، عمان، ط: 01 (1998).

- Merriam-Webster: WEBSTER'S Secondary-school DICTIONARY.